نظم مولد الحافظ
عماد الدين بن كثير

تأليف

السيد العلامة الفقيه الفاضل
محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ
أبي بكر بن سالم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله وسلّم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيِّدنا محمد وآله وصحبه والتابعين.

وبعد، فإنني لما اطلعت على (مولد رسول الله ﷺ) تصنيف العلامة النحرير الشهير بابن كثير، صاحب التفسير تحقيق صلاح الدين المنجد بدار الكتاب الجديد ببيروت، المطبوع بمطبعة دار الكتب ببيروت، وذلك عندما كنت بمكة المكرمة بعد حج أربع وثمانين وثلاثماية وألف هجرية، لما اطلعت على ذلك المولد عند سيدي الحبيب عبد القادر بن سالم البار بجبل الكعبة اغتبطت به كثيراً لما نسمعه من بعض الناس الذين ينكرون المولد وهم متشبثون جداً بآراء ابن كثير وشيخه العلامة ابن تيمية. وذلك لأن تأليف ابن كثير هذا المولد يدلنا على أنه كان يجيز قراءة المولد ولا يرى حرجاً فيه.

لهذا أحببت نظم ذلك المولد في هذا الرجز، ولا يخفى أن نطاق النظم يضيق عن بعض الألفاظ، وقد حرصت على ذكر جميع ما حكاه ابن كثير في مولده المذكور من الأخبار والآثار إلاَّ ما ورد مكرراً أو كان يقارب ما تقدم في المعنى.

وقد ترجم ناشر المولد المذكور لمؤلف المولد، وذكر أن اسمه إسماعيل بن عمر بن كثير، وأنه من أعظم العلماء المسلمين الدمشقيين في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ، وأنه ولد في أول القرن الثامن الهجري، وأنه قدم دمشق سنة ٧٠٦هـ، وعاش فيها حتى توفي سنة ٧٧٤هـ، وأنه صاحب أربعة من عظماء العلماء وتأثر بهم، الحافظ الذهبي والحافظ المزي والعلامة ابن تيمية والبرزالي، وأنه تتلمذ لابن تيمية وفتن بحبه وناضل عنه وأوذي بسببه. وذكر أيضاً أن مؤلفاته التفسير والبداية والنهاية في التاريخ وطبقات الشافعية في التراجم وغيرها.

ثم قال: كان فرحنا شديداً عندما اكتشفنا هذا المؤلف الجديد لابن كثير، ولقد كان مرد فرحنا إلى أمرين، الأول: أن مؤلفات ابن كثير تعتبر من أجود المؤلفات في تراثنا العربي الخ. الثاني: أن هذا الموضوع الذي ألّف فيه ابن كثير أجلّ الموضوعات.

ثم ذكر أن المخطوطة عثر عليها في مكتبة جامعة برنستن في الولايات المتحدة الأميركية أثناء تنقيبه وبحثه عن المخطوطات العربية في مكتباتها، قال: وقد كتب بخط

تعليق لا اتقان فيه في أواخر القرن الثامن، أي في العصر الذي عاش فيه المؤلف ابن كثير، إلى أن قال: وإننا إذ نحمد الله على ما وفّقنا إليه من كشف هذا المخطوط النادر ومئات غيره أثناء تطوافنا في العالم نرجو أن ينفع الله به لأن هذا المولد الشريف جدير بأن يكون ـ لصحته وثقة مؤلفه ـ في كل بيت، وأن يقرأه الصغار والكبار، وأن يحفظوه ليذكرهم بأعظم رجل عرفه الناس فكان هدى ورحمة لهم وللعالمين.

وإليك نقل ما وجده على ظهر المولد المذكور أخذه بالفوتوغراف من النسخة المحفوظة (ذكر مولد رسول الله ﷺ ورضاعه تصنيف الإمام العلامة شيخ الإسلام عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى، تلميذ الشيخ تقي الدين بن تيمية قدّس الله روحه ونوّر ضريحه آمين، إنه على كل شيء قدير، برسم الشيخ عماد الدين أبي بكر ابن الفقير إلى الله تعالى الشيخ بدر الدين حسن المؤذن بالجامع المظفري رحم الله واقفه ورحم جميع المسلمين آمين.

قلت: وقد صدَّر المؤلف مولده المذكور بعد البسملة بالآية ١٢٩ من سورة البقرة: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٦٤] إلى آخرها، وقد جعلت تعليقاً على النظم يوضح المقصود ونستعين بالإله المعبود.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٦٤].

الحمدُ للَّه الذي أنارا ... ذا الكونَ بالنبيّ فاستنارا
أزاحَ كلَّ ظُلماتِ الباطلِ ... بنورِ طٰه خيرِ كُلّ كاملِ
وأوضحَ الطريق بالجمالِ ... من بعدِ أن كانوا على ضلالِ
أحمَدُهُ حمداً كثيراً طيِّباً ... مبَاركاً فيهِ مَريعاً صَيِّباً
يملأُ أرجاءَ السمواتِ العُلى ... والأرضِ حَمداً دامَ ذكراً في الملا
وبَعدُ إني أُشهِدُ الله الأبرْ ... أن لا إلٰهَ غيرهُ بَحراً وبَرْ
وأنَّه رَبُّ جميعِ الخلقِ ... شهادةً أشهَدُها بِحَق
وأنَّ طهَ المُصطفى رسولُهُ ... وعَبدُه حبيبُهُ خليلُهُ
أرسلهُ للعالمينَ رَحْمة ... أُمَّتُه في الكونِ خيرُ أُمه
للمؤمنينَ بالرِّضى بَشيرا ... للكافرين بِلَظى نذيرا
عليه أفضلُ الصلاة والسلام ... تغشاهُ كلَّ لحظةٍ على الدوام
ورضِي اللَّه عن الذُّريَّةِ ... والآلِ والصَّحبِ أُولي المذبَّة
كذاكَ عن أزواجهِ الجميع ... ما قُرِىءَ المولِدُ في ربيع

* * *

يا ربنا صلِّ وسلِّمْ أبَدا ... على النبيّ الهاشميّ أحمدا

* * *

وبعدُ هذا ذكر بعض ما ورد ... في مولِدِ المختارِ ممّا يُعتمَدْ
منَ الأحاديثِ أو الآثارِ ... مما رواها سادةُ الأخبارِ
وكلُّها عن كُتْبهِم منقولة ... وهي لدى حُفَّاظهم مقبولة
كما أتى في مولدِ النِّحرير ... ابن كثيرٍ صاحب التفسير

قال الإمامُ ابنُ كثيرٍ ذُو الوفا ... في ذكرِ نسبَةِ النبي المصطفى
هو مُحمَّدُ بن عبدِ اللَّه ... هذا ابن عبد المطلب ذي الجاه
وهو ابنُ هاشمٍ تلا عبْدَ مناف ... نجلَ قُصي بن حكيمٍ ذي العفاف
وهو ابن مرَّةَ بن كعب بن لؤي ... وهو ابن غالب بن فهرٍ خير حيّ
وفِهرٌ بنُ مالك بن النَّضرِ ... نجلِ كِنانَةٍ رئيس القُطْر
نجلِ خُزيمةٍ تلاهُ مُدرِكَة ... إلياسُ ثمَّ مُضَرٌ قد أدركه
ابن نزارٍ بن مَعْدِ خيرِ أبْ ... والجدُّ عدنانٌ لهُ انتهى النسبْ
فهو أبو القاسم ذو المكارم ... نبيَّنا الأميُّ خيرُ آدمِ
(مَولِدُه بمكَّةَ الأمينَةَ ... وفاتُهُ بطيْبَة المدينة)
وجَدُّهُ عدنانُ من إسماعيل ... وهو الذَّبيح نجلُ مولانا الخليل
عَليهم الصَّلاةُ والسلام ... وآلهِمْ ما دامتِ الأيَّامُ

* * *

يا ربنا صلِّ وسلِّمْ أبَدا ... على النبيّ الهاشميّ أحمدا

* * *

وكان جدُّ الطُّهرِ عبد المطلب ... سيِّدَ مَن إلى قُريشٍ ينتسبْ
كان رئيسَ قومه شيخُ الحرمْ ... وقومُه سادوا لِعُربٍ وعَجم
وكان ربُّ العرشِ قد أكرمهُ ... إلى مكان زمزمَ ألهَمهُ
وذاكَ بعد طمّها من جُرْهُمِ ... فصارَ موضِعُ الندى لم يُعلمِ
مُدَّةَ خمسمايةٍ منَ السنين ... لا يعرفُ الأنامُ عنها ما يَبينْ
حتى أُري في نومِه مكانها ... خاطَبهُ هاتِفُ من قد صانها
فقامَ للحفرِ فمنعتْهُ ... قُريشُ مما رامَهُ نهتْهُ
ولم يكن له من الأولادِ ... سِوى ابنهِ الحارثِ ذي العمادِ
فلم يبال بل تصدّى وحفرْ ... واستخرجَ الذي بها من الدُّرر
فَعرفَت له قريشٌ قدرَهْ ... وعظمت من بعد ذاك أمرهْ
وكان قد نَذَرَ إن كمَلَ لَه ... عَشَرةٌ من الذكور الكمَلهْ
ليَذبحنَّ واحداً منهم فما ... عتم إلاَّ وأتاهُ الكُرَما
وخرجتْ قُرْعةُ عبدِ اللَّه ... فرامَ ذبْحهُ لوجه اللَّهِ
ثُمَّ افتداهُ وفداهُ بمائهْ ... من إبلٍ وذاك مقدارُ الدّية

وبعدَ ذا زوَّجهُ بآمنة ... إبنةِ وهْبٍ فاجتَلت محاسِنه
وحملتْ بعد دخوله بها ... بالمصطفى المختارِ خيرِ عُرْبها
صلّى عليه ربُّه وسلَّما ... وآلِهِ ما ثجَّ وابِلُ السَّما

* * *

يا ربنا صلِّ وسلِّمْ أبَدا ... على النبيّ الهاشميّ أحمدا

* * *

قال ابنُ إسحاق: وكانت أُمُّه ... آمنةٌ تُخبرُ مَن يؤمُّه
بأنها قد أُوتيَتْ في النوم ... من بعد حملها بخيرِ القومِ
قيل لها: إنك قد حملتِ ... بالمصطفى من أهلِ كُلّ بيتِ
رسولِ ربّ العالمين للبشَر ... وسيِّدِ الأمَّة في بحرٍ وبر
قولي إذا وضَعْتِه في الأرض ... قولاً لدى ربّ الأنام مرضي
هذا الفتى أُعيذُه بالواحد ... ربّ الورى من شرٍّ كلّ حاسد
فإنَّهُ عبدُ الحميد الحامِدْ ... حتَّى أراه قد أتى المشاهِد
آيةُ ذاك أنَّه يخرُج نورْ ... مع وضْعِه ومنه تُبصَرُ القصورُ
قُصورَ بُصرى من بلادِ الشام ... على الحبيبِ أفضلُ السلامِ

* * *

يا ربنا صلِّ وسلِّمْ أبَدا ... على النبيّ الهاشميّ أحمدا

* * *

وقد أتى عن خالد بن معْدان ... عن الصحابةِ الأئمةِ الحِسان
بأنهُمْ قالوا لخيرِ الخلْقِ ... عن نَفْسِكَ أخبِرنا بقولِ الصدق
فقالَ: دَعوَةُ أبي إبراهيم ... بشَّرَ بي عيسى وقبلُه الكليم
وقدْ أتى ذا عن أبي أمامَه ... الباهليّ فاستفدْ نظامَه
وجاءنِ العِرباضِ نجلِ سارية ... السُّلَمي الكلماتُ الآتية
عنِ الرسولِ الهاشميّ قالا ... إني عِندَ ربّنا تَعالى
خاتمُ رُسُلِهِ إلى بريّتِه ... وآدمُ مُجندلٌ في طينتِهِ
رَواهُما ابنُ حنبلٍ في مُسندِهِ ... والبيهقيُّ بهداهم اقْتدِهِ
وقدْ رَوى الحاكمُ ثمَّ البيهقي ... عَنْ عُمَرٍ رَفَعهُ إلى التقي
أنَّ أبانا آدماً قدْ سألا ... مولاهُ بالنبيّ حين أكلا

قال لهُ: كيفَ عرفتهُ ولَم أخلقْهُ بعدُ قالَ: يا ربُّ نعمْ
إنكَ لمَّا أن خلقتني وقد نَفَخْتَ منك الروح في هذا الجسد
رأيتُ مكتوباً على قوائمِ عَرْشِك اسمَ المصطفى من هاشم
أي لفظ لا إلٰه إلاَّ اللَّه مُحمَّدٌ رسولُهُ الأوَّاهُ
فقلتُ: لَمْ يُضَفْ إلى اسم اللَّه إلاَّ أحَبُّ خلْقه ذُو جاه
فقال ربُّهُ: صَدَقْتَ إنَّهُ أحبُّ خلْقي ولأعطينَّهُ
وإذ سألتني بحقهِ فقدْ غَفرتُ للوالد هذا بالولدْ
بهِ جميعَ القصدِ قدْ أعطيتُ لولا محمَّدٌ لمَا خَلقتُ

* * *

يا ربنا صلِّ وسلِّمْ أبَدا على النبيّ الهاشميّ أحمدا

* * *

صِفةُ مولِدِهِ ﷺ

لمَّا أراد ربُّنا إبرازَهُ إلى الوجودِ وقَضى إعزازَهُ
أبرزهُ اختارَهُ ثُمَّ اجتباه ليهديَ الخلْقَ لتوحيدِ الإلٰه
فوضَعَتْهُ الأُمُّ تلك الطاهرة في ليلةِ الاثنينِ نِعمَ الزاهرة
وذاكَ في شَهرِ ربيعِ الأوَّلِ في عامِ فيلٍ وعلى ذا عوِّلِ
وعَنْ أبي قتادَةَ الأنصاري عَنِ الرسولِ المصطفى المختارِ
كما رواهُ مُسلمٌ أنَّ النبيّ كما أتى يسألُ بعضُ العرَبِ
عنْ صَومِ الاثنينِ فقالَ يومٌ فيهِ وُلِدتُ ولنِعمَ الصومُ
وفيه نبِّئتُ وقد هاجرتُ فيهِ إلى طيبةَ قد أتيتُ
كما أتى عن ابن عباسٍ التَّقي فيما رواهُ أحمدُ والبَيْهَقي
ولا يشكُّ أحَدٌ أنَّ الرسول وُلِدَ عامَ الفيلِ قالهُ الفُحولُ
وأنَّ بعثَهُ لأربعينا عاماً مِنَ الفيلِ فخُذْ يقينا
كما أتى ذاكَ عنِ الحُزامي أعني به ابن المنذر إبراهامِ
وعن أبي العاصِ الإمامِ الثَّقفي عن أُمّهِ الحسناءِ ذاتِ الشرف
قالتْ شهدتُ وضعَ بنتِ وهبِ بالمُصطفى أشرفِ منْ قد نبي
وقد تجلّى النورُ في النواحي مع وضعِهِ بهذهِ البِطاحِ

وأنظرُ النجومَ تَدنو مني حتى أقولَ اندَفعنْ عني
وقد روى ابنُ هانىء المخزومي عن أبيهِ المعمَّر المرحومِ
مُحدّثاً عن ليلةِ الميلادِ وهيَ لنا من أفضلِ الأعيادِ
ليلة مولدِ النبيِّ ارتجسا إيوانُ كِسرى واللعينُ تَعِسا
وسَقطتْ من قَصرِه كذا كذا شُرافة وخافَ من ذاكَ الأذى
بُحَيرةٌ غاضتْ بأرض الفرسِ بِساوةٍ فأخذوا في الحذْسِ
وخَمِدتْ نيرانُ فارسٍ وما قد خَمدت من ألف عامٍ فاعلما
كذاكَ رؤيا الموبذانِ اشتهَرت رؤيا بها كلُّ المجوسِ قهرتْ
حيثُ رآها إبلاً صِعابا تقودُ خيْلاً سُوَّماً عِرابا
قد قطَعتْ دَجلةَ ثُمَّ انتشرتْ في أرضِهِ فاهتالَ من رؤيا جرت
فأرسلَ النُّعمانُ من عبد المسيح نائبَ كِسرى ساقهُ إلى سطيح
فعندما انتهى إليهِ ووَقَفْ عليهِ ناداهُ سَطيحٌ وكشفْ
قالَ ابتداءً إنَّ ذا عبدُ المسيحْ على بَعيرِه لقد جاءَ يَسيح
بعثهُ مَلكُ أبناء ساسان يسألُني عنِ ارتجاسِ الإيوانْ
وما رأوهُ من خُمودِ النيران وهالهُمْ من أجل رؤيا المؤبذان
قالَ إذا كَثُرت التَلاوَةْ وقامَ يدعو صاحِبُ الهراوة
وفاضَ بالما واديَ السماوَة ونَشفتْ بُحيْرةٌ لِساوَة
وخَمدتْ نيرانُ فارسٍ فليس الشامُ شاماً لِسطيحٍ يا أُنيْس
يملكُ منهُمو عِدادَ الشرُفات وكلُّ شيءٍ هو آتٍ فهو آتْ
فهذه الرُّؤيا تَديرُ الدائِرة على زوالِ سُلطةِ الأكاسرة
توحي إلى ممالكِ الإسلام ولانتشارِهِ بأرضِ الشامِ
وحققَ اللّه جميعَ ذلكْ وأنشرَ الدّين بفضلِ المالكْ
كما يقولُ المصطفى إذا هلكْ قيصرُ لا قيصر بعدهُ ملكْ
كذاكَ كِسرى ليس كِسرى بعده ذاقوا بفضل اللّه كل شِدَّةْ
وقالَ في الكنوزِ باسمِ اللّه لَتُنْفَقَنَّ في سبيل اللّه

* * *

يا ربنا صلِّ وسلِّمْ أبدا على النبيّ الهاشميّ أحمدا

* * *

وحاصِلُ المقول أنَّ ليلةَ الـ ـمولِدِ ليلةٌ بها نِلنا الأملْ
أكرمْ بها من ليلةٍ عظيمةْ سَعيدةٍ خَيراتُها عَميمةْ
طاهرةٌ ظاهرةُ الأنوارِ عاطِرةٌ جليلةُ المِقدارِ
قد أبرزَ الجوهرةَ المكنونة ربّي وتِلكَ الدُّرةَ المَصونة
أنوارُ طٰهَ لم تزلْ مُنتقلة في الساجدينَ نِسبةً مُسلسلة
من كلِّ صُلْبٍ صالحٍ شريف لكلِّ بَطنٍ طاهرٍ عفيفِ
من آدمٍ إلى أبيهِ المُفتدى ما التَقيا على سِفاحٍ أبدا
فأظهَرَ اللَّه لهُ الأنوارا ما يبهرُ العقولَ والأبصارا
كما أتتْ بذلكَ الأخبارُ ممَّا رواهُ السادةُ الأبرارُ
وولَدَتْهُ أُمهُ العفيفة آمِنةٌ في الليلةِ الشريفة

* * *

صلَّى اللَّهُ على مُحمَّد صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم

* * *

وُلدَ مختوناً بأيدي القُدرة مكرَّماً أيضاً بقطْعِ السرَّة
خرَّ إلى الأرضِ نظيفاً ساجِداً مُعتمِداً على يديهِ حامِدا
مفتوحَ عينٍ شاخصاً ببصرِهِ إلى السما وأخبروا بخبرِهِ
أبا أبيهِ قال للبنينِ احتفظوا به مِنَ العيُونِ
إني لأرجو أن يكون لابني شأن وأن يُصيبَ كلَّ حسنِ
وعَقَّ عنهُ سابعَ الميلاد دَعا قُريشاً رُؤساءَ النادي
سمَّاهُ لمَّا حَضروا محمَّدا قالوا لماذا قال حتَّى يُحمدا
يَحْمَدُهُ أهلُ السما والأرضِ فحقَّقَ اللَّه رجاهُ المَرضِي
شقَّ لهُ من اسمِه المُمَجَّد ذو العرشِ محمودٌ وذا مُحمَّدْ
وفي الصحيحين عن الزُّهريِّ عن ابنِ مُطعِمٍ عن النبيّ
يقولُ لي اسماً أنا مُحمَّدُ وحاشِرٌ وعاقبٌ وأحمدُ
وأنا ربُّ العرشِ يمحو الكفر بي وخاتِمٌ للرُّسلِ ما بعدي نبي
وصحَّ أيضاً عن أبي هريرةِ باسمي تسمَّوا وانتهوا عن كُنيتي
وقد روى ابنُ حنبلٍ عن أنسِ جاءَ إلى الرسولِ روحُ القدُسِ
مُسلِّماً على الرؤوفِ والرحيم مكنِّياً لهُ أبا إبراهيمْ

يا ربنا صلِّ وسلِّمْ أبَدا   على النبيّ الهاشميّ أحمدا

*   *   *

ذِكرُ رِضاعهِ ﷺ

قدْ أرضعتهُ أُمُّهُ الكريمة   وبَعدها ثُويبَةُ الحكيمة
وهيَ التي قدْ بشَّرت أبا لهَبْ   بمولدِ رسولِ سيدِ العربْ
وحينَ بشرتهُ بالمحمودِ   أعتقها بُشْراً بذا المولودِ
ومن هنا خفَّف عنهُ الباري   عذابَهُ وهوَ من أهلِ النارِ
فإنَّ عباساً رأى أبا لهَبْ   بعدَ المماتِ في عذابٍ وتعبْ
قالَ لهُ ماذا لقيتَ قال   لمْ ألق خيراً بَعدكُمْ أو مالا
بلْ لمْ أزلْ في شدّةٍ وخيبة   لكن بعتقي أمَتي ثُوَيْبَة
سُقيتُ في هذي مُشيراً حقا   لِنَقْرَةِ الإبهامِ فاغنم عِتقا
وفي رِوايةٍ يُخفف عنّي   منَ العذابِ ليلةَ الاثنينِ
وحيثُ صحَّ ذا وكانَ كافِراً   فكيفَ بالمُسلمِ يغدو شاكراً
طوبى لمنْ يفرحُ بالنَّبيّ   يُدرِكُ كُلَّ مَقصَدٍ سنيّ

*   *   *

يا ربنا صلِّ وسلِّمْ أبَدا   على النبيّ الهاشميّ أحمدا

*   *   *

إرضاعُ حليمةَ السّعديّةِ لهُ ﷺ

وأرضعتهُ البَرَّةُ الكريمة   ذاتُ الوفا السَّعديةُ الحليمة
وكان من عادةِ أهلِ مكّةِ   أن يبعثوا الأولادَ للباديةِ
لكي يعيشوا في الهوا النقيّ   ويَرجِعوا بالجسدِ القويّ
قالت حليمةٌ فما منا امرأة   مِنَ اللواتي جئنَ من تلكَ الفئة
إلاَّ وقد جاؤوا إليها بالصّبيّ   ولمْ تكن تدري بأنه نبيّ
قالتْ فتأباهُ النّسا لَزيما   لكونِهِ في أهلِهِ يتيما
وحيثُ كان الغيرُ لمْ يحصل لي   أخذْتُهُ وجئتُ نحوَ رَحلي

فدرَّ ثدياي سريعاً باللَّبْن ... لهُ وللظئرِ[1] وزالتِ المحنْ
قالت وقامَ صاحبي للناقةِ ... وجَدها حافلةً بالمِنحةِ
فلم يزلْ يحلبُ حتّى بتْنا ... بخيرِ ليلةٍ كما قدْ شِئنا
وقال زوجي وهو يدعو مالِكَهْ ... لقد أخذنا نسْمةً مباركةْ
ثُمَّ ذهَبنا للبلادِ راجعينْ ... حقاً فصِرنا للنساءِ سابقين
لما رأى رِفاقُها الأتانا ... قالوا لنا إنَّ لها لشانا
وقدِموا أرضَ بني سَعدٍ وما ... أرضٌ تُرى أجدبَ منها في الحمى
ومعَ ذا غَنمُها تَروحُ ... شَبعى وكُلُّها لها مَنوحُ
وغَنمُ القومِ جياعاً تُمسي ... وليسَ فيها لَبنٌ لِنفْسِ
حتَّى يقولونَ لمنْ يرعاها ... ويْحَكُموا لمْ تُحسنوا مرعاها
أما تَروا بنتَ أبي ذؤيبِ ... من أينَ ترعى؟ ما لكم في ريبِ
فيسرحون حيثُ تسرحُ الغَنَمْ ... لكنها تعودُ بالجوعِ الأتمْ
ولَم يزلْ ربُّ الورى يريهمْ ... بَركَةَ الذي تربى فيهِمْ
ويتعرَّفونها دَواما ... وأدركوا بسِرِّهِ المراما
كانَ يشبُّ في الصّبا شباباً ... بسُرعةٍ فخلَّفَ الأترابا
ما بَلَغَ العامَيْنِ حتى كانا ... جَلْداً قوياً ناهِضاً مُصانا

* * *

يا ربنا صلِّ وسلِّمْ أبَدا ... على النبيّ الهاشميّ أحمدا

* * *

وبينما الحبيبُ مع أخٍ لهُ ... منَ الرّضاعِ والمراعي حولهُ
إذ جاءَ يَشتدُّ أخوه ضمرَه ... بأبويهِ يستغيثُ مرَّة
قالَ لهم قد جاءَ رَجُلانِ ... منَ الثيابِ البيض يلبسانِ
فأضجعاهُ ثمَّ شقَّا بطنه ... فامتحنا بذاك أيّ محنة
أتى إليهِ الكلُّ منهم مُسرِعا ... فوجداهُ قائماً مُنتقعا
فاعتنقاهُ قائلينَ ما الخبرْ ... فقال خيرٌ لا تخافا أيّ شرْ
أتاني اثنانِ فأضجعاني ... والبطن شَقَّاهُ وأودَعاني
واستخرجا شيئاً فَطرحاهُ ... وَلأما الشقَّ وأحكماهُ

(١) الظئر: هو أخوه من الرضاعة.

وبَعدَ ذاكَ أشفقا عليهِ ... من حادثٍ فأقبلا إليهِ
وأرجعاهُ مكّةَ لأمّهِ ... وأخبراها ما جرى لجسمهِ
فقالتِ الأُمُّ تخوَّفتم عليه ... وليسَ للشيطانِ مسلكٌ إليه
وإنَّهُ لكائنُ لإبني ... شأنٌ عظيم في ربوعِ الكونِ
فإنَّني حين حَملتُ لم أجدْ ... لِحَملِهِ ثُقلاً كما النسا تجدْ
وإنني مع حملِهِ رأيتُ نور ... خرَج مني فأضاءتِ القُصور
وفي صحيح مُسلمٍ عن ثابتِ ... عن أنَسٍ يُروي بنصٍّ ثابتِ
حادِثُ شقّ الصَّدرِ مرَّتين ... إحداهُما وهو ابنُ سَنتينِ
ولَيلةَ الإسراءِ ثانياً وَقَع ... للمصطفى الهادي فجلَّ من رَفَع
كما أتى عنْ أنسٍ وعن أبي ... ذرٍّ وجَمعٍ في صحيحِ الكتب

* * *

يا ربنا صلِّ وسلِّمْ أبَدا ... على النبيّ الهاشميّ أحمدا

* * *

وبالرِّضاعِ نالت القبيلةْ ... أعني بني سَعدٍ ذُرى الفضيلة
حالَ الرَّضاعِ وكذاكَ بعدهُ ... قدْ أدركوا فضلَ النبيّ ووُدّهُ
أما ترى يومَ حنينٍ عندما ... كانَ النساءُ الذَّراري مغْنما
فاسترحَموهُ ذكَّروهُ بالرَّضاع ... فكانَ ذا لأسرِهِم خيرَ دِفاع
قام خطيبُهم زُهيرُ بنُ صُرَدْ ... قالَ رسولَ اللّه أنتَ المعتَمدْ
ما في سباياكمْ سوى خالاتكْ ... وكافلاتِكَ ومُرضِعاتِكْ
وبَعدهُ أنشدَهُ شِعراً يقولْ ... أمننْ علينا بالفكاكِ يا رسولْ
فلمْ يكنْ من الرسولِ إلاَّ ... أنْ قالَ قولَ السادة الأجلاَّ
ما كانَ لي ولبني هاشِمكُمْ ... فذاكَ للّه تعالى ولكم
فقالَ كُلُّ الصَّحبِ ما كانَ لنا ... فهوَ لِرَبِّنا ولِرسولِنا
بالمنِّ هذا طابَتِ النُّفوسُ ... لأنَّ حُبّ المصطفى مغروسُ
في قَلبِ كلّ مؤمنٍ تقيّ ... وذَاكَ داعٍ لاقتفا النبيّ
خمسمايةِ ألفِ ألفِ دِرهَم ... وستةُ آلافِ عدُّ النَّسَم
كما رَواهُ غيرُ واحِدٍ مِنَ الأبـ ... ـطالِ أربابِ العلومِ والعَملْ

* * *

يـا ربـنـا صـلِّ وسـلِّـمْ أبَـدا   عـلـى الـنـبيّ الـهـاشـميّ أحـمـدا

* * *

ذِكـرُ صـفـاتـه الـعـظـام الـظـاهـرةْ   وذِكـرُ أخـلاقِ الـحـبـيـبِ الـطـاهـرة
كـان الـرَّسـولُ رَبْـعـةً مـن الـرجـالْ   لا بـالـقَـصـيـرِ لا ولا مِـنَ الـطـوالْ
بـيـاضُـهُ مُـشـرَّبٌ بِـحـمـرةْ   وشـعـرهُ جَـعْـدٌ ولـيـسَ وَفْـرَةْ
بـل ربـمـا يـضـربُ فـوقَ مِـنـكـبـيـهْ   ورُبـمـا يَـبـلُـغ نِـصـفَ أُذُنـيـهْ
قـد جـاوَزَ الـسـتـيـن عـامـاً والـشَّـعر   أسـودُ مـا لـلـشـيـب فـيـه مـن أثـرْ
وكـانَ سَـهْـلَ الـخـدّ ضَـخـم الـرأسِ   مُـدَّورَ الـوجـهِ شـديـد الـبـأسِ
وأدعـجَ الـعـيـنـيـنِ والأهـدابُ   طـويـلـةٌ فـي أنـفِـهِ احـديـدابُ
ووجـهُـه بَـدرٌ وكـثُّ الـلـحـيـة   يـمشي الـهـويْـنـا وهـي خـيرُ مَـشـيـةْ
إذا مَـشـى كـأنـمـا يـنـحـطُّ   عـن صـيْـبٍ فـاعـجـبْ لـهُ إذ يـخـطـو
كـأنـمـا تُـطـوى لـه الأرضُ إذا   مَـشـى ولا يـشـكـو لـغـوبـاً أو أذى
وخـاتَـمُ الإنـبـاءِ بـيـن كَـتِـفِـه   يـلـوحُ لـلـنـاظِـرِ إنْ يـنـظـرْ إلـيـه
فـي كَـتِـفـيـه وأعـالـي الـصَّـدرِ   وفـي الـذراعِ شَـعـرٌ كـالـدُّرِّ
وحَـسـنُ الـجـسـمِ طـويـلُ الـزّنـديْـن   غـلـيـظُ إصـبـعٍ وشَـثـنُ الـكـفـيـن
كـانَ سـويَّ الـبـطـنِ والـصـدر مَـعـا   قـلـيـلَ لـحـمِ الـعـقِـبـيْـنِ أجـمـعـا
يـلـبَـسُ مـا يـلـقـى مِـنَ الـثـيـاب   مـن غـيـرِ مـا كـبـرٍ ولا إعـجـابِ
فـيـلـبَـسُ الـقـمـيـصَ بـلْ والـجـبَّـة   يَـسـتـعـمـلُ الـعِـمَّـةَ ذات الـعَـذبـةْ
كـذلـكَ الـقـبـاءَ والـبـرودا   أو الـسـراويـلاتِ والـمـوجـودا
لـمْ يـتـكـلـفْ مَـلـبـسـاً أو مَـطـعـمـاً   فـي شـأنـه مـا لـم يـكـن مُـحـرَّمـا
وكـانَ ذا شـجـاعـةٍ وذا كـرَمْ   لـم تَـلـقَ أسـخـى مـنـه فـي كـلِّ الأمـمْ
ولـيـسَ أقـوى مـنـهُ قـلـبـاً فـي الـذي   يـراهُ حـقـاً فـاتَّـبـعْـهُ واحـتـذِ
يـقـولُ صـحـبُـهُ إذا اشـتـدَّ الـخـنـاقْ   فـي الـحـربِ نـتّـقـي بـمـن عـلا الـطـبـاق
وحـيـن ولّـوا عـنـه مُـدبـريـنـا   يـوم حـنـيـنٍ لـم يُـرَ حـزيـنـا
لَـمْ يـبـقَ عـنـدَه مـن الـصـحـب سـوى   مـائـةِ شـخـصٍ وهـو مـشـدودُ الـقـوى
عـدوُّهُ فـي عـددٍ مـنَ الألـوفْ   بِـعـدَّةٍ مـنَ الـرمـاحِ والـسـيـوفْ
والـمُـصـطـفـى مـا زالَ ثـابـتـاً عـلـى   بَـغـلـتـهِ يَـهـمـزُهـا إلـى الـعُـلـى
مُـنـوِّهـاً بـاسـمـهِ الـكـريـم   لـم يَـكـتـرثْ بـالـعـسـكـرِ الـلـكـيـمِ

قالَ أنا النبيُّ حقاً لا كَذبْ ... مُصرّحاً أنا ابن عبدِ المطلبْ
هذا دليلٌ لتمامِ الثقةِ ... باللَّه مع إيقانِهِ بالنُّصرةِ
وأنَّ مولاهُ سيوفي وعدهْ ... وأنهُ يُعزُّ حقاً جُندهْ
وتمَّ نصرُ اللَّه للمُختارِ ... واستاقَ أسراهمْ مَع الذَّراري
«وفي السخا كأنه البحرُ زَخر ... يُعطي مئيناً وألوفاً من حَضرْ»
ما ردَّ سائِلاً ولم يستكثرْ ... عطاءَهُ منَ الجميلِ والبِرْ
يؤثِرُ غيرهُ وإن تكنْ به ... خَصاصةٌ مَحبَّةً لربهِ
تقولُ أُمُّ المؤمنينَ كانا ... خُلقُهُ القرآنُ فاستبانا
بأنَّهُ أشرفُ خلقِ اللَّه ... وأنهُ أفضلُ رُسْلِ اللَّه
وكلَّ ما به القرآنُ قدْ أمرْ ... قامَ به كما انتهى عما زَجرْ
مبادراً للعملِ المَرضيّ ... وأبعدَ الناسِ عنِ المَنهيِّ
وقال عبدُ اللَّه أعني ابنَ سلامْ ... حينَ رأى الرَّسولَ سيدَ الأنامْ
لما رأيتُ وجهَهُ عرفتُ ... بأنهُ وجهٌ صدوقٌ ثبْتُ
ليس بوجهِ رجلٍ كذَّابِ ... ولا بهمَّازٍ ولا عيَّابِ
سمعْتُهُ يقولُ أفشوا السلامَ ... يا أيها الناسُ وأطعموا الطعامَ
وواصلوا أرحامكم وصلُّوا ... بالليلِ والناسُ نيامٌ غُفْلُ
لتدخلوا الجنَّة بالسَّلامِ ... عليهِ منَّا أشرفُ السلامِ
وكانَ صلّى ربُّنا عليهِ ... يجودُ في المالِ بما لديه
مُتَّصفاً بكلّ وصفٍ أسمى ... إليهِ أنواعُ الكمالِ تُنمى
مُنذُ نشأ طِفلاً إلى مماتِه ... مُتَّصفاً بالحُسنِ في حالاته
الصدقُ والإخلاصُ والشجاعة ... والحِلمُ والعَفافُ بل والطاعة
والنُّصحُ والرأفةُ ثمَّ الرَّحمة ... واللِّينُ والرِّفقُ بكلّ الأمَّة
والجودُ للأيتامِ والأراملِ ... والفُقرا والضُّعفا الأفاضِلْ
يكفيهِ وصفُ ربِّه الكريمِ ... بأنَّهُ ذو خُلُقٍ عظيمِ
قدْ حازَ هذا مع حُسنِ السَّمتِ ... والشَّكلِ والصُّورةِ بل والصوت
وحِكمةٍ فائقةٍ بديعة ... ونِسبَةٍ عريقةٍ رفيعة
في قومهِ الذين أعلى دارا ... وخيرُ أهلِ أرضِنا قَرارا
وفي صحيحِ مُسلمٍ عن واثلة ... يَرويهِ عن ربِّ الصفاتِ الكاملة

بأنَّ مولانا اصطفى من ولدِ الـ ... ـخليل إسماعيلَ مثلُ ما نُقِلْ
وأنهُ جَلَّ اصطفى كنانَه ... منْ فرع إسماعيلَ ذي المكانة
ومن كنانةَ اصطفى قُريشا ... ومن قُريشٍ اصطفى من أنشا
من هَشَم الثَّريدَ وهو هاشمْ ... ومن بني هاشمِ الأكارمْ
قد اصطفى مُحمَّداً خير البشرْ ... وخير أهل الكونِ بدواً وحضرْ
وقدْ روى الحاكم في المستدركِ ... عنِ الفتى نحواً من الذي حُكي
وزادَ في المَروي من غيرِ افتخارْ ... فأنا يا قوم خيارٌ من خيارْ
فَمن أحبَّ العُربَ فبحبّي ... أحبّهمْ طوبى له بالقُربِ
ومَنْ يَكن أبغضهمْ بالعكس ... فلا تكنْ لحقِّهمْ ذا بخس
والناسُ أطوارٌ وهم معادنْ ... والفضلُ في الأشخاص والأماكن
وفي الشهورِ واردٌ وفي القرونْ ... وحسبُنا اللَّه وما شاءَ يكونْ
وأفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ ... على النبيّ سيِّدِ الأنامِ
والآلِ والصحبِ على الدَّوامِ ... والحمدُ للَّه على الختامِ

* * *

صلَّى اللَّه على محمَّد ... صلَّى اللَّه عليهِ وسلَّمْ

* * *

الدُّعاء:

هذا وقدْ تمَّ بحمدِ اللَّه ... نظمي لميلاد رسولِ اللَّه
مُلخَّصاً مما حكاهُ ابن كثيرْ ... في ذكرِ مولدِ البشيرِ والنذيرْ
ويَحسنُ الختامُ بالدُّعاءِ ... لبارىء الأرضِ معَ السماءِ
يا ربَّنا يا ربَّنا يا ربَّنا ... يا ربَّنا يا ربَّنا يا ذا السَّنا
ندعوكَ يا من لا سواهُ غافرْ ... بحُرمةِ الهادي النبيّ الطاهرْ
مُحمَّدٍ وآلِهِ وصحبهْ ... أنْ تُكرمَ العبدَ بغفرِ ذنبهْ
وتُصلحَ القلوبَ والقوالبْ ... وأنْ تجودَ ربِّ بالمطالبْ
وأنْ تُعافينا وتعفو عنا ... وتَختِمْ العُمْر لنا بالحُسنى
وهَبْ لنا رضاكَ ثمَّ الجنَّة ... واجعل لنا منَ العذابِ جُنَّةْ
وكنْ لنا يا ربَّنا معينا ... وأصلحْ الدُّنيا لنا والدِّينا
ونوِّرِ الأبصارَ والبصيرة ... يا ربَّنا وأصلحْ السريرةْ

وأصلـحْ الأُمـةَ واستُـرْ واجبـرْ وارحـمْ وألِّـفْ القـلـوبَ وانـصُـر
وأصلـحِ الإخـوانَ والأولادا والأهـلَ والجيـرانَ والأحـفـادَا
أقـرَّ عـينَ المُصطفى بالكـلِّ ووفِّـقِ الكـلَّ لخيـرِ السبـل
وفـي الختـامِ كلُّنا نستغفرْ وبكَ يا مولى الورى نستنصرْ
نستغفـرُ اللّـه ونَـدعوهُ عسى يصفحُ عنَّا ما اقترفنا من أسى
يا ربِّ عفـواً ورِضًـى ورَحمة هبْنـا وهَـبْ كـلَّ عُـصـاةِ الأمـةْ
وتُـبْ علينـا تَـوبـةً نصوحـا وزكِّنـا بهـا قلبـاً وروحـا
واجعـلْ إلـى رحمتـكَ انقلابَنـا وفـي رِضـاكَ سعيَنـا ودأبَنـا
وفـي مَـراقـي المصطفـى فرِّقنـا ومـن سُـلافِ حُـبـهِ فـأسقنـا
واجعـلْ علـى ملَّتـهِ وفاتَنـا واعمُـرْ بأعمـالِ التُّقـى أوقاتَنـا
والطـف بنـا يـا ربَّنـا وعافنـا وانظـر إلينـا واعـفُ عـنْ إسـرافنـا
وأظهـرِ الدِّيـنَ وبيِّـنْ فضلـهُ واقمـعْ أعـاديـه وسـدِّدْ أهـلـهُ
واجعلـهُ منصـوراً علـى الأديـانِ وعـاليـاً فـي سـائـر البلـدانِ
وكثِّـر الـدّاعيـنَ والأدلَّـة والمرشـديـنَ لِسلـوكِ المـلّـة
وكـنْ لـهـم واكـلاً وصُنهـم وأطـلْ أعمـارَهُـمْ واردَعْ بهـم كـلُّ مُضـلْ
آميـنَ آميـنَ إلٰهـي فاستَجـبْ واسمعْ وقلْ لي هاكَ عبدي ما تحبْ
بِحـرمـةِ الـذَّاتِ وسِـرّ الذِّكـرِ وجـاهِ طٰـهَ مصطفـاكَ الطُّهـرِ
صـلَّـى عليـهِ اللَّـه مـا نـورٌ أضـا فـي الكونِ وانهلَّت شآبيبُ الرضى
والآلِ والأصحـابِ أربـابِ النهـى والحمـدُ للَّـه ابتـداءً وانتـهـا

سبحان ربّك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

كمل بحمد الله نظم هذا المولد يوم الجمعة ٢١ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٨٤ ببلد الله الحرام مكة المكرمة تقبّل الله ذلك، والحمد لله ربّ العالمين.